

الشورى في الإسلام



يقول [] سبحانه وتعالى في كتابه العزيز واصفاً المؤمنين من أهل الجنة في سورة الشورى: (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجِزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنْ مِمَّا السَّبِيلِ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (الشورى/ 43-37).

وصف [] تعالى أهل الجنة بأنهم مؤمنون بربهم، والإيمان يقتضي التوكُّل عليه دون سواه؛ فلا أحد في هذا الوجود يفعل شيئاً إلا بمشيئة [] جلّ وعلا وإذنه. لذلك يقصر المؤمن توكُّله عليه ولا يتوجّه في فعل ولا تركٍ لمن عداه. هذا الشعور ضروري لكل مسلم كي لا يحني رأسه إلا []، ولا يرجو ولا يرهب أحداً إلا []. فهو مطمئن ثابت الفؤاد في الضراء، شاكراً المُنعم في السراء، يطيع [] فيما أمر، وينتهي عما نهى عنه وزجر.

1- (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ): أي الذين يتجنبون الوقوع في كبائر الذنوب التي أوعدها [] عليها وعيذاً كالشرك والقتل العمد وعقوق الوالدين والفواحش وهي كل ما استقبحه الشرع والعقل والطبع السليم من قولٍ أو فعلٍ كالغيبة والكذب والزنى والسرقة والإفساد في الأرض. و[] سبحانه وتعالى يعلم ضعف هذا المخلوق البشري فيجعل الحدّ الذي يرتضيه لعبده المؤمن أن يتجنّب الوقوع في كبائر الإثم والفواحش.

2- (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ): الإسلام لا يكلّف الإنسان فوق طاقته، و[] سبحانه وتعالى يعلم أن الغضب انفعال بشريٌّ ينبع من فطرته وهو ليس شراً كلاًه؛ فالغضب [] ولدينه وللحقّ والعدل غضبٌ مطلوبٌ وفيه الخير، ومن ثمّ فليس كلُّ الغضب خطيئة، ولكن الإسلام يقود المسلم ويعوِّده على أن يتغلّب على غضبه خاصةً إذا كان في حدود الدائرة الشخصية. فإذا عفا المؤمن عمّن أساء إليه يحسبُ له صفةٌ مثلى من صفات الإيمان المحبّية، وهذا ما عرّفَ عن رسول [] بأنّه لم يغضب لنفسه قطّ إنما كان يغضبُ []، فإذا غضب [] لم يقم لغضبه شيءٌ. صلّى [] عليك يا رسول []. فالعفو والصفح

وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَذَّوُنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَظَوِيٌّ عَزِيزٌ (الحج/ 40-39). والآية لا تتعلق فقط بالماضي وإنما هي عامة وشاملة لكل زمان ومكان، تفرض مواجهة كل بغي أو ظلم يتعرض له المسلمون في كل زمان ومكان؛ فإذا نالهم ظلم من ظالم لم يستسلموا لظلمه، فالمسلمون يعتزون بقوة الله والثقة بنصره.

7- (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا): أي أن عقاب السيئة عقاب مماثل للجرم وهذا نظير الآية الكريمة: (فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيَّكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيَّهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيَّكُمْ) (البقرة/ 194). وقوله تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنَّ صَبْرَكُمْ لَهِوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) (النحل/ 126)، وقوله تعالى: (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي إِلَّا مِثْلُهَا) (الأنعام/ 160).

لكن الله سبحانه وتعالى رغب بالعتفو في آخر الآية فقال: (فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ) (المائدة/ 45). وقوله تعالى: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) (الشورى/ 40)؛ أي من عفا عن الظالم المُسيء وأصلح بالودِّ والعفو ما بينه وبين من أساء إليه، خاصة إن كان من إخوانه المسلمين فنوابه على الله، يعطيه أعظم الجزاء. وقد وصف الله المتقين بقوله تعالى: (الَّذِينَ يُذْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران/ 134).

إن الله سبحانه وتعالى لا يحبُّ الظالمين المبتدئين بالظلم والإساءة، ولا يحبُّ من يتعدى في الاقتصار ويجاوز الحدَّ فيه، لأنَّ المجاوزة في الاقتصار ظلم. والله سبحانه وتعالى يؤكد مشروعية دفع الظلم والبغي بقوله: (وَلَمَنْ انْتَصَرَ بِعَدْوٍ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) (الشورى/ 41)؛ أي إنَّ المنتصر من الظالم لا يؤاخذ على دفع الظلم عن نفسه وهو دفاعٌ نادت به جميع النظم والقوانين والأديان: (إِنَّ مَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) (الشورى/ 42). أي إنما المؤاخذة والعقوبة على الذين يبدؤون الناس بالظلم، ويتجاوزون الحدَّ في الانتقام، ويجنون على النفوس والأموال بغير الحقِّ، ويتكبرون ويتجبرون بظلم الناس وسلبهم حقوقهم؛ أولئك الظالمون البادئون بالظلم، المُجاوزون الحدود لهم عذابٌ مؤلم شديد كما جاء في قول الله سبحانه وتعالى: (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (العنكبوت/ 23).